مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

العددان الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون

لسنة 1441 – 1442 هجرية الموافق: 2019 – 2020 ميلادية

المصطلح القرآني
الجهود العلمية والخصوصيات المنهجية

أ.سمير فريدي
باحث في الدرسات القرآنية

تقديم:

يعتبر المفهوم القرآني النواة الأولى لفهم القرآن، والمنطلق الأساس لبناء الحضارة والعمران، ومنبع تفجير العلوم والمعارف على مر الأزمان، لهذا خُصَّ بالرعاية مذ تنزله، كما لحقته العناية بعد اكتمال نزوله. ولا غرو أن الأمة الآن تشهد حالة من التعثر والتبعثر، التعثر على مستوى استئناف السير الحضاري، والتبعثر على مستوى منهج التعامل مع النص القرآني، ولا سبيل إلى الخروج من هذه الحالة إلا من خلال الانطلاق من تدبر القرآن الكريم، بدءًا بمصطلحاته باعتبارها الخطوة الأولى لفهم الخطاب القرآني، ومعرفة مقاصده، والمفاتيح الكاشفة عن مكنونه والمكتنزة لدلالاته الحضارية والمعرفية، فمن لم يتبين معانيها أشكل عليه فهم الخطاب جملة.

ومن المعلوم أن للمفاهيم دورًا مهمًّا في تقدم الأمم أو انحطاطها باعتبارها الوعاء الذي يحوي ثقافتها وفكرها، فبمجرد استعارة مصطلح

من ثقافة معينة أو من حقل معرفي آخر، ثم يتم تداوله على أساس التطابق والتماثل مع المصطلح الأصل، يبدأ الخلل يتسرب إلى النظام الفكري والثقافي للأمة، وإن بقي هذا الزيغان المفاهيمي مستمرا سيتآكل جسدها إلى أن تنهار أصولها، وثوابتها، وأركانها التي قامت عليها، وبعد ذلك سننتقل من حالة تسرب المصطلح من ثقافة أخرى، إلى حالة ترسب مضمون ذلك المصطلح الوافد على ثقافة الأمة، ومن ثم تلحق مفاهيمها عدة أمراض من قبيل الميوعة والغموض والتشويه.

وقد عرف المصطلح القرآني تحولات مختلفة على مدى أربعة عشر قرنا، حيث أُفرغ من محتواه القرآني، وحمل دلالة تاريخية في كثير من الأحيان وصارت هي الموجهة للأمة بدل الدلالة القرآنية، حتى «إن الناظر إلى استعمالات المفاهيم والمصطلحات وتداولها في فكرنا المعاصر، لا يلبث يقف على فوضى وابتذال في هذا الاستعمال والتداول. خاصة إذا تعلق الأمر بانتماءات مرجعية، ومذهبية مختلفة ومتناقضة، حيث تتسع دلالات تلك المصطلحات والمفاهيم من حد النصرة والتأييد إلى حد المعارضة والرفض. أي تنتقل من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين أو العكس من غير ضابط مرجعي أو منهجي، وتوظف توظيفات نفعية أكثر منها علمية»[1]، «وأضحت كثير من المفاهيم والمصطلحات التي صاغت وتصوغ ثقافتنا معرفة بالتاريخ لا بالوحي. وحدودها مدرسية مذهبية تعليمية أكثر منها تشريعية كلية، حيث انحصرت الدلالات الشرعية وانتشرت الدلالات

(1) النخبة والأيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر، د. سعيد شبار، مركز دراسات المعرفة والحضارة، كلية الآداب بني ملال، ط2، 2012م، ص3.

التاريخية»[1]، فبدل «أن تساعد على نمو العلم وتطوره تحولت إلى قيود وحواجز أمامه، وأضحت غايات في ذاتها بدل أن تكون وسائل لغيرها. وهذا ما يبرر ضرورة الاشتغال والتصحيح في هذا المجال استئنافا للبناء التجديدي فيها»[2].

ومن التعثرات الأخرى التي أصابت المفاهيم الإسلامية سيطرة المفاهيم الغربية على العقل المسلم، مما جعله يدخل في صراعات عقيمة منعته من مواصلة الإبداع والبناء المعرفي، مما أدى إلى تخلف على مستويات عدة انعكست نتائجها على المستوى الحضاري.

وهذا ما يستدعي بيان مفهوم المصطلح القرآني، ثم عناية العلماء به تأصيلا وتنزيلا، بغية تجاوز ما لحقه من تغيير واضطراب.

مفهوم المصطلح القرآني وأثره في البناء المعرفي

يقصد بالمصطلح[3] بشكل عام ذلك اللفظ الذي يؤتى به من المجال

(1) نفسه ص7.

(2) الأسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي، د. سعيد شبار، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إسيسكو- 1432هـ/2011م، ص25.

(3) قال د. طه جابر العلواني في التفريق بين المصطلح والمفهوم: «إذا كان المفهوم مغايرا للأسماء من حيث الدلالة والوظيفة المعرفية، وإن كان اسما من حيث الإعراب فإنه مغاير للمصطلح كذلك، فالمصطلح بمثابة الاسم: يصطلح جماعة من الناس تجمعهم حرفة أو مصلحة أو سواها على إطلاق لفظ بإزاء معنى أو ذات، لا يتنازعون فيما اصطلحوا عليه حيث لا مشاحة في الاصطلاح. أما المفهوم فهو شيئ آخر يختلف عن الاسم، ويختلف عن المصطلح. إنه أشبه بوعاء معرفي جامع يحمل من خصائص الكائن الحي أنه ذو هوية كاملة قد تحمل تاريخ ولادته (ويغلب أن يكون تقريبا) وسيرورته وتطوره الدلالي، وما قد يعترضه أثناء سيرورته من عوامل صحة أو مرض وعمليات شحن وتفريغ وتخلية وتحلية، ولذلك كانت دائرة المفاهيم أهم ميادين الصراع الفكري والثقافي بين الثقافات عبر التاريخ وستظل كذلك حتى ظهور الهدى ودين الحق=

اللغوي العام ليدل على مفهوم خاص في مجال علمي معين، أما المصطلحات القرآنية فعرفها الدكتور الشاهد البوشيخي بقوله: «كل أسماء المعاني وأسماء الصفات المشتقة منها في القرآن الكريم، مفردة كانت أم مركبة، ومطلقة كانت أم مقيدة، وعلى الصورة الإسمية الصريحة، أم على الصورة الفعلية التي تؤوَّل بالاسمية»[1].

وبذلك فالمصطلح القرآني «إجمالا هو: كل لفظ قرآني عبَّر عن مفهوم قرآني، وتفصيلا: هو كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفردا كان أم مركبا اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية، جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي»[2].

إذ يتسم المصطلح القرآني بتعاضده مع غيره داخل البنية النسقية للقرآن المجيد، ولا يمكن فهمه إلا من داخلها، وبهذه الخصوصية يتفرد عن غيره من مصطلحات مختلف العلوم والفنون، كما أحدثت هذه المصطلحات القرآنية طفرة مفهومية، فظهر ما سمي بالتخصيص أو تضييق المعنى، والتوسع الدلالي، وظهرت أسماء أخرى لم تعهدها العرب في كلامها، حتى ظُنَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير أسماء الأيام والشهور والبلدان، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

= على الدين كله». نحو منهجية قرآنية معرفية، دار الهادي، ط1، 1425هـ-2004م، ص124، وبناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مجموعة من المؤلفين، إشراف د. علي جمعة ود. سيف الدين عبد الفتاح، تقديم طه العلواني، دار السلام، ط1، 1429هـ-2008م، (8/1).

(1) نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، د. الشاهد البوشيخي، ص 130.

(2) القرآن والدراسة المصطلحية، دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2011 م، ص20.

فَسَكَتَ حَتَّى ظننّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يوْمَ النَّحْرِ؟ قلنا: بلَى، قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قلنا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فقَالَ أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟، قلنا: بَلَى، قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟ قُلْنَا: بلَى...»[1].

ومما يوضح تباين المصطلح القرآني مع غيره ما رواه البخاري في صحيحه أنه «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: « لَيْسَ كَمَا تقُولُونَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام: 82 بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[2].

وعن عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: مَا الخَيْطُ الأَبْيَضُ، مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ أَهُمَا الخَيْطَانِ، قَالَ: إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا، إِنْ أَبْصَرْتَ الخَيْطَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ»[3].

وغير ذلك كثير مما يوضح أن مصطلحات القرآن الكريم أحدثت ثورة دلالية، كما أنها كانت المنطلق الأساس لمختلف علوم المسلمين في شتى المجالات، هذا ما يفسر حجم الإنجازات التي وصلت إليها الأمة

(1) أخرجه البخاري، في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ. (1741) (176/2).

(2) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) (النساء :125)، (3360)، (141/4).

(3) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط..) (البقرة :187)، (4510) (26/6).

في عصورها الذهبية، لكون القرآن كان هو المصدر المؤسس للعلوم والمعارف، فكان أخذهم له بقوة، فمنحهم من الهدىٰ والمعرفة ما مكنهم من تحقيق الشهود الحضاري، وعندما أخذناه بضعف كان ثمة انحطاطنا وتخلفنا، وهذا ظلم في حق القرآن؛ فالقرآن بطبيعته كريم، فبقدر المشقة والمداومة في طلب الاستمداد منه يعطي طالبه بقدر جهده في الطلب، لكن عندما تم إغفال مصدريته المنشئة للمعارف والعلوم، وتم البحث عن الهدىٰ خارجه، لم تمدنا مصطلحاته بالنور الذي به نستطيع أن نهتدي في ظلمات البر والبحر؛ لأننا أصبحنا نؤصّل لعلومنا من دائرة أخرىٰ غير دائرة القرآن، وبمفاهيم أخرىٰ غير مفاهيم القرآن، لهذا فأثر تأصيل المعارف والعلوم من داخل القرآن الكريم يمهد لتحقيق شهود الأمة والحضارة، والتخلي عن تأصيلها بعيدا عن مصطلحاته ومفاهيمه لا يزيد الأمة إلا خسارا، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1].

إذن فلمصطلحات القرآن الكريم دور مهم في بناء المعرفة، وفي تحقيق الشهود الحضاري، هذا ما دفع العلماء إلىٰ الاعتناء بمصطلحاته أشد العناية، لأنها السبيل الموصل لتدبر معانيه والكشف عن مقاصده، واكتناه أسراره.

عناية العلماء بالمصطلح القرآني

ترجع العناية بالمصطلح القرآني إلىٰ مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام، إذ «لا يخفىٰ أن ما أحدثه نزول القرآن الكريم وبيانه السنة النبوية من تغييرات جذرية في بنية الألفاظ التي كانت سائدة من قبل، بتزويدها بالمضامين الشرعية، قد خلق واقعا لغويا وعقديا واجتماعيا وثقافيا وعلميا وسلوكيا..

(1) الإسراء: 82.

جديدا كان سمة الأمة المخرجة إلى الناس»[1]، مما جعل الصحابة الكرام على مدى ثلاث وعشرين سنة يحرصون على فهم معانيه حتى يعملوا بما استمدوه منها من الهدى والعلم، «كما روي عن عمر نفسه في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، فإنه سئل عنه على المنبر، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده:

تخـوَّفَ الرَّحْـلُ منهـا تامِـكا قَـرِدا كمـا تخـوَّفَ عُـودَ النَّبْعَـةِ السَّـفَنُ

فقال عمر: «أيها الناس! تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإن فيه تفسير كتابكم»[3].

فإذا تبيّن مدلول اللّفظ تحصّل المعنى، ولابد «أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود»[4].

ونجد أن القرآن الكريم نفسه هو الذي بيّن منهج التعامل مع المصطلحات والمفاهيم وعدم الخلط بينها، مع ضرورة إدراك الفروق بينها، يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا

(1) المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، د. سعيد شبار، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط 1: 1431هـ- 2010م، صفحة غلاف الكتاب.

(2) النحل: 47.

(3) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م. (2/139-140).

(4) الموافقات (2/138).

وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، وقال جل ثناؤه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ففي هذه الآيات وجهنا الله تبارك وتعالى إلى استبدال ألفاظ بألفاظ وكذا إلى حسن الدقة والتمييز بينها؛ وأيضا في الحديث النبوي الشريف نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكد على ضرورة تسمية الأشياء بمسمياتها، فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، وَلاَ تَقُولُوا: خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»[3]. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تُسَمَّى المغرب العشاء، فقال: «لاَ تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاَتِكُمُ المَغْرِبِ»[4]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي»[5].

على ضوء هذا المنهج تجند العلماء من مختلف الأمصار والعصور، وبذلوا ما في وسعهم من أجل كشف معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتنوعت تلك الجهود بتنوع توجهاتهم ومذاهبهم، ومن الكتب والفنون التي تناولت المفردة القرآنية بالدراسة ما يأتي:

- **كتب غريب القرآن:**

من أبرز كتب الغريب:

(1) البقرة: 104.
(2) الحجرات: 14.
(3) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر (41/8) (6182).
(4) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من كره أن يقال للمغرب العشاء، (117/1) (563).
(5) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي، (41/8) (6179).

- تفسير غريب القرآن، لزيد بن علي (ت120هـ).
- غريب القرآن وتفسيره، لليزيدي (ت202هـ).
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ).
- غريب القرآن، للأصمعي (ت213هـ).
- غريب القرآن، للأخفش الأوسط (ت215هـ).
- غريب القرآن، للقاسم بن سلام (ت224هـ).
- غريب القرآن، لمحمد بن سلام الجمحي (ت231هـ).
- تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ت276هـ).
- ونزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، للسجستاني (ت330هـ).
- غريب القرآن، للهروي (ت401هـ).
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت502هـ).
- تفسير غريب القرآن العظيم، للرازي (ت666هـ).
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الغرناطي (745هـ).
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (ت756هـ).
- تفسير غريب القرآن، للصنعاني (ت1182هـ).
- كتب الوجوه والنظائر[1].

يقول ابن الجوزي في كتابه نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: «قد نسب كتاب في «الوجوه والنظائر» إلى (عكرمة عن) ابن عباس رضي

(1) معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخرى هو الوجوه. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م، ص83.

الله عنهما وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»[1].

وممن ألف في كتب الوجوه والنظائر: الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وأبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري. وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون الحجازي عن أبيه، كتابا في «الوجوه والنظائر»، وأبو بكر بن محمد بن الحسن النقاش، وأبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، وأبو علي البناء من أصحابنا، وشيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني. ولا أعلم أحدا جمع الوجوه والنظائر سوى هؤلاء»[2].

- **كتب الفروق**

من الكتب التي اعتنت بالمفردة القرآنية كذلك كتب الفروق، ويبدو أن الراغب الأصفهاني من خلال مقدمة كتابه كان يريد أن يكتب كتابا في الفروق بين الألفاظ القرآنية، حيث قال: وأتبع هذا الكتاب- إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل- بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد، وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكر القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3]، وفي أخرى: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وفي

(1) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص83.
(2) نفسه.
(3) الروم: 37.
(4) يونس: 24.

أخرىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] وفي أخرىٰ: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[2]، وفي أخرىٰ: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[3]، وفي أخرىٰ: ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾[4]، وفي أخرىٰ: ﴿لِأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾[5]، ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر: الحمد لله بقوله: الشكر لله، ولا ريب فيه بلا شك فيه، فقد فسر القرآن ووفاه التبيان[6].

لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، ومن المحتمل أن الراغب أدركته الوفاة قبل تصنيفه، ومن الكتب التي اعتنت بالفروق اللغوية:

- الفروق ومنع الترادف للحكيم الترمذي (320 هـ).
- كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (395 هـ).
- فروق اللغات -في التمييز بين مفاد الكلمات- لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري (1158 هـ).

بالإضافة إلىٰ هذه الجهود فقد بذلت جهود أخرىٰ في العناية بالألفاظ القرآنية، حيث عنيت كتب المعاجم وفقه اللغة بالمفردة القرآنية، وكان للمفسرين قدر كبير من الاهتمام -خصوصا اللغويون منهم- ولعل أقدم تفسير لغوي للقرآن الكريم وصلنا هو مسائل نافع ابن الأزرق عن ابن عباس، فكان ابن الأزرق يسأل ابن عباس عن مسألة فيجيبه عنها ويأتي بمصداق

(1) البقرة: 20.
(2) الأنعام: 98.
(3) آل عمران: 13.
(4) الفجر: 5.
(5) طه: 54.
(6) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ، ص 55-56.

ذلك من لغة العرب، وجاء في أسئلته على سبيل المثال لا الحصر: قال: يا ابن عباس: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[1]، ما النحاس؟ قال: النّحاس: هو الدّخان الذي لا لهب فيه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت بقول النابغة[2]:

يضيء كضوء السّراج السّليط لم يجعل الله فيه نحاسا

قال: صدقت[3].

ومن زاوية أخرى تناول المتكلمون في مناقشاتهم معاني الألفاظ التي قالوا إنها داخلة في دائرة المتشابه والمجاز والاشتراك، قصد تأييد مذاهبهم العقدية، وكذلك تناولت كتب بنفحة صوفية كثيرًا من المصطلحات القرآنية، كما في منازل السائرين للهروي، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية.

أما الدرس الأصولي فنظم طرائق النظر، ومنهج التعامل مع الألفاظ والنصوص، عن طريق مجموعةٍ من القواعد الدقيقة والمحكَمة، استمد بعضها من قواعد اللغة؛ كصيغة الأمر والنهي، المطلَق والمقيَّد، العام والخاص، الحقيقة والمجاز، المنطوق والمفهوم، المجمَل والمبيَّن، وبعضها

(1) الرحمن: 35.

(2) النابغة الجعدي اسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيع بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة. هكذا نسبه أبو عبيدة وابن الكلبي ومحمد بن سلا ولقيط وأكثر أهل العلم. وقال القحذمي: اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة. يكنى أبا ليلى وكان شاعراً مفلقاً طويل البقاء في الجاهلية والإسلام وكان أكبر من النابغة الذبياني وبقي بعده طويلاً وهو أحد المعمرين يقال إنه عاش من العمر مائتي سنة وقيل أقل من ذلك وكف بصره بعد أن أسلم وحسن إسلامه وبلغ إلى فتنة ابن الزبير ومات بأصفهان. معجم الشعراء، المرزباني (ت: 384 هـ) ص321.

(3) مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس، تحقيق د. محمد الرالي، الجفان والجابي، ط1، 1413هـ 1993م، ص 36-37.

قواعد عقلية تقارب النص من جهة لوازمه العقلية، وتنظيم العلاقات بين الأدلَّة والقواعد، وبعضها قواعدُ شرعية، مثل قاعدة: لا ضرَرَ ولا ضِرار.

كما أن للمُحدَثين جهودًا طيبة في دراسة دلالة الألفاظ والمفاهيم القرآنية، فمن الذين اعتنوا بالمصطلح القرآني العلامة عبد الحميد الفراهي الهندي الذي خلف كتبا قيمة، منها مفردات القرآن، وأساليب القرآن، والتكميل في أصول التأويل، وتاريخ القرآن، ودلائل النظام، هدفه منها فهم كتاب الله عز وجل حق الفهم، وبيان أسراره ومقاصده. ومن كتب التفسير الحديثة تفسير المنار فله أثر بارز، وهناك أيضا مشروع طموح لعبد اللطيف بري في كتابه قاموس المفاهيم القرآنية، حيث سعى إلى رصد المفاهيم القرآنية برؤية علمية، وميز بين المفاهيم المحورية والثانوية.

«إلا أن تلك الجهود وغيرها -على وجاهتها وأهميتها- تظل مفتقرة إلى الشروط التي تجعل من نتائجها مفاتيح للفهم الكلي النسقي للقرآن الكريم؛ لغيبة الإحصاء في النسق العام. وذلك ما يترشح له منهج الدراسة المصطلحية بكفاءة بحكم اختصاصه»[1]، إذ «لو تتبع الباحث بالاستقراء الكامل مواطن ورود اللفظ الواحد لأمكنه الوقوف على معاني هذا اللفظ الجمة وعلى حقيقته والمراد منه في هذا الموطن أو ذاك.. سواء اتحدث المعاني أو اختلفت، ولكان ذلك خير معين لفهم المراد من كلام الله تعالى في كتابه»[2].

خاتمة:

يظهر مما تقدم أن المداخل المصطلحية هي الأقرب إلى مقاربة الألفاظ

(1) القرآن الكريم والدراسة المصطلحية ص103.

(2) المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، د. سعيد شبار، ص7.

القرآنية قصد تجاوز الإسقاطات المذهبية التي خيمت على التفسير قرونا طويلة، ولا يخفى أنه في وقتنا الحالي تضاعفت الجهود وتضافرت، وقويت الهمم واشْرَأبت إلى دراسة مصطلحات القرآن الكريم، لكون الأمة تحتاج إلى ما في هذه المصطلحات من الهدى والعلم أكثر من أي وقت مضى لما تشهده الأمة من التراجع والتأخر، ومعهد الدراسات المصطلحية كان له فضل كبير في مواصلة تدبر مفردات القرآن المجيد ودراستها بمنهج علمي رصين.

فلم يكن قصدنا هو سرد المؤلفات التي عنيت بدراسة الألفاظ القرآنية أو الوقوف على منهجها، بقدر ما أردنا أن نبين أن المصطلح القرآني حظي بعناية خاصة، وأن هناك جهودًا واسعة في هذا الباب، اختلفت بتباين زوايا النظر، مع اختلاف بينها سواء على مستوى المنهج، أو منطلق صاحبها في التعامل مع ألفاظ الذكر الحكيم، وهذا يبرز أن حركة التأليف بدأت منذ وقت مبكر، وآن الأوان لمواصلة تلك الجهود بنفس أعمق ومتجدد يساير السقف المعرفي للقرآن الكريم، لتحقيق النهضة انطلاقا من مصطلحات ومفاهيم القرآن.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- الأسس المرجعية والمنهجية لتجديد الفكر الإسلامي، د. سعيد شبار، منشورات المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إسيسكو- 1432هـ/2011م.

- بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مجموعة من المؤلفين، إشراف د. علي جمعة ود. سيف الدين عبد الفتاح، تقديم طه العلواني، دار السلام، ط1، 1429هـ-2008م.
- دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2011 م.
- مسائل نافع بن الأزرق عن بن عباس، تحقيق د. محمد الرالي، الجفان والجابي، ط1، 1413هـ 1993م.
- المصطلحات والمفاهيم في الثقافة الإسلامية بين البناء الشرعي والتداول التاريخي، د. سعيد شبار، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط 1: 1431هـ- 2010م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
- الموافقات، الشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/ 1997م.
- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفية، د. الشاهد البوشيخي.
- نحو منهجية قرآنية معرفية، طه جابر العلواني دار الهادي، ط1، 1425هـ-2004م.
- النخبة والأيديولوجيا والحداثة في الخطاب العربي المعاصر، د. سعيد شبار، مركز دراسات المعرفة والحضارة، كلية الآداب بني ملال، ط2، 2012م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م.